ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:08 العدد: 01(2023) ص 242- 253

من خطاب الرحلة إلى خطاب الهجرة تحول في الموضوعات والصيغ الأنواعية رواية "كامارد رفيق الحيف والضياع" للصديق حاج احمد الزيواني نموذجا.

From the discourse of the journey to the discourse of emigration, a shift in themes and qualitative genres, the novel "Kamarad Rafik al-Hayf al-Hayf wa'l-Dhaar " by the essadik Haj Ahmed Al-Ziwani.

مصيطفى عقيلة

جامعة غرداية الجزائر

aKilamessai07@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2021/05/20
تاريخ القبول:
2022/09/27
تاريخ النشر:
2023/03/26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ خطاب
- ✓ الرحلة
- ✓ الهجرة
- ✓ الموضوعات
- ✓ الصيغ
- ✓ الأنواعية

الملخص:

تتناول هذه الدراسة رواية الهجرة التي لم تعد تكتب على شاكلة رواية الرحلة،إذ صارت لها صيغ فنية ، و خصائص نوعية ، و موضوعات مختلفة ، استمدها الأديب من الحياة العميقة للمهاجرين و ذهنياتهم، صارت رواية الهجرة خطابا نصيا جامعا لأنماط من الصيغ الأنواعية والأبنية التي تسهم في إنتاجيته واكتماله، لذلك تستهدف هذه الدراسة البحث عن كيفية تحول رواية الرحلة عند العرب إلى رواية الهجرة ؟ كما تسعى إلى الكشف عن الخصائص النوعية والموضوعاتية والفلسفة الجمالية التي تميز هذا النمط من الكتابة السردية بنسيجها ومشكلاتها، فهل أسهم خطاب رواية الهجرة السرية في تحول موضوعات الرواية العربية؟ و صيغها الأنواعية وما الذي أضافه هذا الأدب إلى الرواية العربية الجديدة؟ مع رصد صفات أدب الهجرة في النصوص السردية الجزائرية.

Article info

Received
20/05/2021
Accepted
27/09/2022

Keywords:
- ✓ *Discours*
- ✓ *Journey*
- ✓ *Migration*
- ✓ *Topics*
- ✓ *Formulas*

Abstract :

This study deals with the migration novel, which is no longer written in the style of the journey novel, as it has technical formulas, qualitative characteristics, and different topics, which the writer drew from the deep life and mentalities of the migrants. In its productivity and completeness, therefore, this study aims to search for how the novel of the journey was transformed by the Arabs into the novel of migration? It also seeks to reveal the qualitative and thematic characteristics and the aesthetic philosophy that characterize this type of narrative writing with its texture and problems. And its qualitative forms, and what has this literature added to the new Arabic novel? With monitoring the characteristics of

migration literature in the Algerian narrative texts.	✓ *Genres*

1.مقدمة

عرف فن الرحلة منذ القدم بمقدرته على تحفيز المتخيل فكثيرا ما يفضي به إلى الإغراب والعجائبي، من أجل ذلك يمكن اعتباره من بوادر النصوص الروائية التي تناولت ظاهرة الهجرة والارتحال، ولقد عرف هذا الأدب لونا جديدا في حلته وانقلابا نحو أدب الهجرة الذي صار له معجم دلالي متناسق يحمل دلالات الانكسار والشتات والضياع والظلم،

الأهمية : تكمن أهمية هذه الدراسة التي تتناول أدب الهجرة في كونها اقترانا جديدا طارئا على أدب الرحلة حين اقترن بالضياع والتيه والضعف، إذ تعد الهجرة من كبرى معضلات العصر كظاهرة إنسانية صارت تستقطب الأدب العالمي ،ساهمت في حدوثها أسباب عديدة، ولقد لاقت صدى كبيرا في الآداب العالمية، إذ تحولت إلى مادة خام في شتى الأنواع الأدبية حتى شكلت تيارا أدبيا، وهي عملية تلفيظ لفعل الهجرة.

الإشكالية: تأتي هذه الدراسة للإجابة عن الإشكالية الجوهرية الآتية:

1- ما هي الخصائص النوعية الجمالية التي تسم خطاب الهجرة و تميزه عن خطاب الرحلة ؟ هل أسهم خطاب الهجرة السرية في تحول موضوعات الرواية العربية و صيغها الأنواعية ؟ وما أكثر الأشكال السردية تعالقا مع خطاب الهجرة؟

ويندرج تحتها جملة من الأسئلة الجزئية منها:

-كيف قدم "الزيواني" في روايته " كاماراد رفيق الحيف والضياع "موضوع الهجرة؟ ماهي الأجناس الأخرى و الصيغ الأنواعية التي انفتح عليها خطاب الهجرة في هذه الرواية؟

أهداف الدراسة

1- تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على الصفات النوعية لهذه التجربة الروائية الجديدة(أدب الهجرة) المتميزة بنسيجها ومشكلاتها وتيماتها الخاصة باعتبارها نسقا تكوينيا من أنساق الثقافة العربية، وستستمد منهجيتنا من إملاءات الظاهرة المدروسة، وأسئلتها المنبثقة.

2 - تبتغي هذه الدراسة أيضا مقاربة تداعيات إحدى أكبر ظواهر العصر الحديث وهي الهجرة السرية، وكيف رصدها المتخيل الحكائي والروائي الجزائري من أجل تعميق النظر في سؤال الهجرة السرية بين البلدان وأشكال حضورها في الأدب، والتي تعكس جملة من التجارب المتعددة في الأمكنة والفضاءات والثقافات الاجتماعية والإيديولوجيات التي رصدها الروائي الجزائري حين تناول حياة المهاجرين الذين اضطرتهم حياة الظلم والاضطهاد والخوف واللا استقرار إلى مغادرة أوطانهم، يحلمون بأنماط معيشية أفضل، إذ تناول هذه الموضوعات سيترك آثاره بينة على مضامين النص، وصيغ الكتابة.

المنهج: بما أننا نتعقب تداخل البنيات والنصوص داخل بنية هذا النص يكون المنهج البنيوي هو الأنسب لهذه القراءة، مع انتخاب المنهج السوسيو نصي لقراءة البنيات الاجتماعية والثقافية والإيديولوجية التي ينطوي عليها خطاب الهجرة كنسق تكويني ثقافي شامل.

إن هذا الانفتاح والتحول من خطاب الرحلة نحو خطاب الهجرة يكون بتداخل أنواع عديدة، فيتداخل التخيلي الروائي بالسيرة الذاتية وغيرها من الأنواع والأجناس الأخرى بحثا عن معالم المغايرة والتجريب في خطاب الرحلة القديم، ، وقد كان لذلك أثر على تشكلات الفعل الإبداعي الجديد الخاص بأدب الهجرة ضمن سيرورة التحول، الذي صار خطابا له مقوماته التي يبنى عليها، من منطلق أن الخطاب السردي يكون جامعا متجاوزا لمقولة الصيغة المهيمنة، فيخرج من المدلول الخطابي المنغلق إلى المدلول الخطابي المفتوح، ومن السرد الواحد نحو السرد الثقافي.

يصف الرحالة في أدب الرحلة المواطن التي زارها من حيث جغرافيتها وعمرانها وتاريخها وحضارتها ومجتمعاتها ودياناتها وآدابها، وإن كانت الرحلة في المكان شرطا للكتابة، والرحلة كخطاب نص جامع لأنماط وأنواع أدبية عديدة، فإن رواية الهجرة من التجارب الروائية العربية الجديدة التي صارت تصور رحلة الفرار

من طغيان المستعمر، أو الحاكم الطاغية، والعنصرية الدينية والعرقية، فانتقلت من كونها رحلة فردية منظمة إلى رحلة جماعية إجبارية اضطرارية غير منظمة، ليجد نفسه أمام صراعات خطيرة تتعلق بالهوية أساسا، واختلاف الثقافات ثم صراع الأديان والحضارات، و هكذا فالرواية الرحلة من أنماط الرواية الجديدة المتجاوزة للتقاليد الفنية المعروفة في الكتابة الروائية سابقا ،

قال عن الرواية الجديدة شكري عزيز الماضي بأنها: «تنطوي على تعدد أبنيتها ورؤاها، وعلى ملامح وأصداء مشتركة مثل الحزن العميق والمرارة والأسى الذي يكتنف هذه التجارب، والرغبة العارمة في تجاوز كل هذه التقاليد الجمالية والمنظومات الفكرية والإيديولوجية »

(عزيز، 2008، صفحة 18)

2.مقارنة بين أدب الرحلة وأدب الهجرة

وبمقارنة بين الأدبين سواء في شكلهما المستقل، أو بإدراجهما في نص روائي يمكن أن نسجل نقاط الاشتراك والاختلاف الآتية:

- الرحلة سلوك قديم عرفه الإنسان العربي لقضاء مآرب عديدة منها ما هو ديني ومها ماكان لأسباب علمية بحتة، بينما الهجرة سلوك حديث أفرزته ظروف العصر القاهرة

- يعرف أدب الرحلة شيئا من الاستقرار، حيث يخرج الرحالة راغبا للاكتشاف، وتبادل الثقافات، والاستمتاع، بينما في أدب الهجرة الرحالة يخرج مشردا منفيا هاربا لاجئا.

- أدب الرحلة وليد فترة النهضة والاستقرار، وأدب المهجر وليد فترة التوتر والاضطراب وإن كنا نسجل اختلافا في الخصائص النوعية للفنين.

ويحمل المتن السردي لروايات الهجرة الكثير م+ن الثنائيات المتضادة، تعكس اضطراب العلاقة بين المهاجرين والمهاجر إليهم، وتشرح هذه العلاقة بأساليب سردية، وفي المقابل يتكشف التعاون بين المهاجرين فتذوب بينهم مختلف الاختلافات وتختفي الفوارق، وتغيب المصلحة الشخصية، لذلك نلمس تراجيدية الحدث في أدب الهجرة غالبا، وهذا هو الفرق بينه وبين أدب الرحلة.

أتى أدب الهجرة بقيم جديدة ما عرفها أدب الرحلة سابقا، وهي علاقة الرحالة بهويته وجذوره وثقافته ودينه، التي تظل معايير ترافقه أينما حل يزن من خلالها الأمور، بينما أدب الهجرة والمنفى على عكس من ذلك تماما، إذ صارت تلك القيم والهويات والثقافات الأم مصدر قلق في البلاد المهاجر إليها، فصار ينسلخ منها طلبا للعيش الكريم، فسمت أدب الرحلة الثبات والرسوخ والهوية، بينما سمت أدب الهجرة هو اللاتجذر واللا انتماء.

حالة التنقل في رواية الهجرة سمة دافعة للخروج، لا ينظر إليها في أدب الرحلة انتقالا في المكان بل تبدلا ثقافيا، و هي في أدب الهجرة دال اللا استقرار، ومجهولية المصير، وانتقل الوضع في أدب الرحلة من الدلالة على القوة والهيمنة إلى الدلالة على والهزيمة والانكسار في أدب الهجرة، وهكذا تتشكل بين أدب الرحلة وأدب الهجرة ثنائية ضدية (قوة وهيمنة / انكسار وهزيمة)، ينتقل من كونه في الرحلة يمثل وطنه إلى كونه في أدب الهجرة يمثل نفسه.

وإن لم يعد في المفهوم المعاصر ينظر إلى فعل الخروج الذي يتأسس عليه فعل الرحلة و الهجرة على أنه سلبية مطلقة، وذلك بالنظر إلى التجارب الثقافية التي يحصلها المرء بخروجه سواء عاد منتصرا أم منهزما،هو خروج من ثقافة إلى أخرى ، و انتقال من ثقافة إلى أخرى ، يقول مافيزولي: «إن عدم التجذر في مكان ما والشعور بالراحة من خلال التنقل من ثقافة إلى أخرى بات موقفا فكريا ووجوديا عظيم الانتشار في أيامنا هذه. »(ميشيل، 2010، صفحة 135)

لم يصطدم الرحَّالَةَ بعقبة الاغتراب اللغوي والثقافي، والاجتماعي كما هو الحال في أدب الهجرة، إذ يصطدم المهاجرون منذ البداية بالمتغيرات اللغوية والثقافية والفكرية.

أدب الهجرة الذي تستهدفه هذه الدراسة هو أدب المنفى عن المكان، بعد توسع الحروب، واستبداد الحكام. وليس النفي في المكان الذي تحققه سياسة الخنق والمنع.

تختلف الهجرة عن الرحلة في الدوافع والأسباب والوجهة والمدة الزمنية، و المشاعر التي يحملها اتجاه وطنه كالحنين أو المقت، وكلاهما يؤدي إلى اكتساب التجارب والخبرات البشرية، وتبادل الثقافات، وإلى تباين في المضامين واختلاف في الصيغ النوعية.

خطاب الهجرة أكثر أدبية لأنه يناقش قضية يبسطها كاتب ويبحث عن حلول لها، لذلك يصلح أن يكون عملا سرديا يغطي رواية بكاملها، بينما ما ينتجه الرحالة يلتقي غالبا مع أدب اليوميات المبني على التدوين، وكلاهما يعتمد التخييل والحكي.

إشكال اللغة وعلاقتها بالهوية كتيمات ينطرح في أدب الهجرة وليس في أدب الرحلة.

1.2خصائص أدب الهجرة موضوعاتيا :

تقوم الرواية ذات تيمة الهجرة السرية على التخييل الذاتي في أحداثها وبناء شخصياتها، وقد تكون من خلف ذلك تجربة خاصة، فيصور الروائي معاناة المهاجر في أرض المنفى، لذلك يطرح أدب الهجرة موضوعات يختص بها، تميزه عن أدب الرحلة، ويثير إشكالات كثيرة منها: العلاقة بين الذات والآخر، السؤال الثقافي والحضاري، حقوق الإنسان، الهوية، المنفى، العزلة، الاختلاف اللغوي والثقافي والحضاري، التشرد، العنصرية، ، همجية الاستعمار وجرائمه في حق المواطنين، ، ويمكن تمييز الموضوعات الكبرى التالية:

2.2. اليومي والهامشي: فلسفة الحياة في رواية الهجرة هي فلسفة اليومي والهامشي، والهجرة السرية خاصة لا تتحقق إلا بقرار من ذات تدرك جيدا أن تغيير فضاء التواجد، وتغيير الثقافات من أسباب اكتمال نضج الشخصيات، وبناء الحضارات والمجتمعات، إنها ثقافة الانفتاح، يقول ميشيل مافيزولي«يتعلق الأمر باندفاعة هجراوية تحث أصحابها على تغيير المكان والعوائد والشركاء أملا في معايشة الأوجه المتعددة للشخصية البشرية على الأرض » (ميشيل، 2010، صفحة 46)

3.2 الهجرة: لم يعد أدب الهجرة يكتب على شاكلة أدب الرحلة، بل صارت له طرائق كتابة خاصة وتيمات مبتدعة، استمدها الأديب من الحياة العميقة للمهاجرين وذهنياتهم؛ تيمة الهجرة في الرواية المعاصرة حقل دلالي وتجميع لدلالات كثيرة: كالتخلّف، والاستبداد والهامشية، الحنين، روايات أدب الهجرة هي روايات التيه، والهروب من واقع و قدر إلى واقع و قدر أشر منه، هي رواية البعد المكاني، من مكان منفر بئيس إلى مكان تصنعه الأحلام قد لا يكون مرضيا وبناء على أسباب الهجرة يتحدد نوعها، إذ الهجرة نوعان: هجرة قسرية اضطرارية –وهجرة اختيارية شرعية، لكن الهجرة قرار ومغامرة، وركوب للخطر في أفق المجهول، والبقاء سجن وضيق هكذا تفكر ذهنيات المهاجرين، يقول إدوارد سعيد: « إن الحدود والحواجز التي تسيجنا بأمان المنطقة المألوفة يمكن أن تغدو سجونا ومعازل، أما المنفيون فيعبرون الحدود ويحطمون حواجز الفكر »(إدوارد، 2007، صفحة 131)

وهناك من ينظر إلى الهجرة الجماعية في طابعها الإيجابي ويراها جسرا إلى الخلق والإبداع، فخليط من البشر من مواطن مختلفة هو خليط من الثقافات، يقول مازولي": «ماكان للإمبراطوريات الجهوية في طابعها الأقوى أن تتشكل لولا هذا التمازج المتعدد المكونات، فبفضله يتحقق الخلق والإبداع» (ميشيل، 2010، صفحة 54)

وقد مال الفكر المعاصر نحو الجماعية وكلما ابتعد المرء عن موطنه وأهله، كلما تضاعف إحساسه بالفقد والحرمان، يقول إدوارد سعيد: « أما المنفى فهو عزلة تعايش خارج الجماعة بإحساس بالغ الحدة، حيث يشعر بضروب الحرمان لعدم وجود المرء مع الآخرين في الموطن المشترك» (يقطين، 2001، صفحة 121)

4.2. التيه: من الموضوعات التي تنسجم مع قضية الهجرة في الأدب، والذي يعني تمردا وخروجا وعدم تقبل للوضع العام، سواء قصد بذلك الاستقرار الدائم في أرض المهجر أم كان وضعا قسريا مؤقتا يقول ميشيل مافيزولي: «التيه يترجم التعدد الكامن في الشخصية الإنسانية و الازدواجية الطابعة للوجود»(ميشيل، 2010، صفحة 14)

المنفى والهجرة تجربة مريرة يتعايش معها المرء لكن لا يألفها، يقول إدوارد سعيد: « إن النظرة إلى المنفى في الأدب بل وفي الدين تخفي ما هو رهيب وفظيع في حقيقته، »(يقطين، 2001، صفحة 118)

إن حالة التيه تلك تعد وضعا أوليا يصطدم به كل مهاجر، لكنه سرعان ما يزول إن أحسن المهاجر التوافق والانسجام، يضيف مافيزولي: « يكون التائه منعزلا لكنه ليس معزولا لأنه يشارك مشاركة واقعية أو متخيلة أو افتراضية في جماعة شاسعة .. تكون رغم اندراجها في الزمن متينة ومتماسكة»(يقطين، 2001، صفحة 66)

لقد قلبت حركة مابعدالحداثة الموازين في النظر إلى الأشياء، فلم يعد ينظر إلى التيه كحالة ضياع، بل بداية الطريق،و بداية الإبداع ، يقول ما فيزولي: «التيه عربون إبداعية في حقبة ما بعد الحداثة قياسا إلى القيم

البرجوازية السائدة، وكما أن النزوع إلى الترحال ساهم في بناء الحضارات السابقة فهو يساهم اليوم في بناء الواقع »(ميشيل، 2010، صفحة 57)

5.2. الهوية: هي الانتماء إلى جماعة تربطها عقيدة واحدة، وتوحدها مشاعر مشتركة، يحمل المنتمي أفكارها، ويجسد عاداتها، يقول في ذلك علي أسعد «ويشكل الانتماء جذر الهوية الاجتماعية وعصب الكينونة .. هو إجابة عن سؤال الهوية في صيغة من نحن؟ والانتماء أيضا هو صورة الوضعية التي يأخذها الإنسان إزاء جماعة أو عقيدة، كما أنه يشكل مجموعة الروابط التي تشد الفرد إلى جماعة أو عقيدة أو فلسفة معينة.»(أسعد، صفحة 155)

تحدد الهوية الذات في الزمان والمكان والتي تعني الانتساب إلى جماعة ثقافية معينة، يرى هول أن»الهوية ((**internalize**) تعمل كجسر بين الفرد الاجتماعي والفرد الخالص...وكذلك تجعل السلوك في المجتمع أكثر نمطية وانتظاما»(وهولبورن، 2010، صفحة 97)

3.الصيغ الأنواعية

إن رواية الهجرة الجديدة أدب له خصائصه الفنية وموضوعاته، ويمكن تحديد أهم الخصائص النوعية لأدب الهجرة، حيث يتسم بالتعدد الثقافي والتداخل اللغوي.

- أدب الهجرة نص جامع يقوم على انفتاح دلالي و شكلي، لذا لم يعد بالإمكان اليوم أن يظل نصا محافظا على نقاء نوعه، فكثافة الإنتاجية فيه مرهونة بكثافة الحضور النوعي المشكل له، عن طريق استحضاره لنصوص بوعي وبغير وعي، ، يقول أحمد يوسف"فالناتج النصي يكون حصيلة سلسلة من التحولات النصية السابقة التي تنصهر وتتمازج فيما بينها، والتي يظن المبدع أنه صاحبها لكنها تتسلل إليه بطرق لاشعورية "(أحمد ي.، 2002، صفحة 25)

يتعالق نص الهجرة مع التخييل الروائي، ودون ذلك يكون أقرب إلى التاريخ يقول سعيد يقطين " الكاتب وهو يكتب عن عصره وفي إطاره يكتب ضمن بنية نصية كبرى ممتدة في الزمان والمكان، وإلا تحول النص الأدبي إلى وثيقة تسجيلية يبحث فيها المؤرخ"(يقطين، 2001، صفحة 142)

كذلك يؤكد الحبيب مونسي في سياق نقله لقول عبد الملك مرتاض حول صفاء النص في الكتابة"هل هي من الذات المبدعة أم هي إبداع متشكل من مزيج حوصلة الغير؟ تحت ما يسمى بالتناص عند جوليا كريستيفا فقال: «إنها العملية التي تقع أثناء الفعل الكتابي دون أن يعبأ بها المبدع أو يعبأ بسب تسربها من اللاوعي إلى الحضور الإبدائي».(مونسي، 2002، صفحة 193)

فنص الهجرة ونص الرواية عامة يطمح أن يكون نصا ثقافيا، ولم يعد يهم في إطار الدراسات الثقافية النص كبناء من حيث تركيبته الشكلية والدلالية وآثاره الجمالية، وإنما من حيث كونه يمثل نظاما ثقافيا، ويطرح مشكلا إيديولوجيا، يرى عبد الله الغدامي: «ولابد من وضع الناقد والنص معا في حالهما الفعلية من حيث وجود بعدين متجاورين معا هما البعد الجمالي والثقافي»**(عبد الله، 2005، صفحة 51)**

فبفضل الدراسات الثقافية صارت النصوص الأدبية تعرف حركة انفتاح، وهو ما ضاعف إنتاجيتها الدلالية والجمالية.

3. 1. أدب الرحلة: أصبحت الرحلة من الصيغ الأنواعية الأكثر حضورا في روايات مابعد الحداثة، تبدي انسجاما بشكل خاص مع الرويات لتي تناولت الهجرة وحقلها الدلالي.، إذ تطور أدب الرحلة إلى أدب الهجرة، أوجد تقاطعات شكلية بينهما، لكن أدب الرحلة يتميز بوصف المشاهد وسرد الأحداث وذكر التقاليد والعادات، وهو ما يشترك فيه مع مذكرات الحال، في أدب الرحلة يروي الرحالة وقائع رحلته وأخبارها ويمزج ذلك بانطباعاته الذاتية، ، وتأتي الرحلة وفق مستويين أحدهما حركة في المكان، أي الرحلة ذاتها، والثاني خطاب وكتابة، ولأدب الهجرة أيضا خطاب وحكاية.

3. 2. السيرة الذاتية: يرتفق أدب الهجرة كثيرا بتقنيات فن السيرة الذاتية وخصائصه النوعية. فيروي السارد غالبا حكايته الذاتية حين سافر نحو المجهول، يقول فيليب لوجون: «عبارة عن حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته» (فيليب، 1994، صفحة 08)

يبين جينز بروكمبير ما يحيل الكلام إلى السيرة الذاتية وليس الرواية، فيوضح هويتها من خلال جملة من المعايير في مقدمتها أن السيرة الذاتية تبنى على الالتزام بجموعة معينة من المسلمات بشأن الذات، وعلاقة المرء بالآخرين، ورؤية المرء للعالم.(جينز، 2015، صفحة 64)

فالنّص السّير ذاتي يغتّرف من جميع خصائص وأساليب الأجناس السّردية الأخرى، كالنصوص التي تبدأ رواية في افتتاحها السّردي، من خلال إعلان المؤلّف، ولكن سرعان ما يحدث التّحوّل السّردي باتجاه الحالة السّير ذاتية، وكذلك هو الشّأن مع اليوميات والمذكرات، يرى العديد من النّقاد والباحثين أننا أمام ظاهرة تشظي جنسي السّيرة والرّواية والتقائهما في الرّواية السّير ذاتية أو السّيرة الذّاتية الرّوائية .

3. 3. أدب اليوميات: يعنى أدب اليومياتُ بالتقاط التفاصيل لأنه ينقل الحياة كما حدثت، بينما يعنى الكاتب في أدب الهجرة بالوصف السريع المتنقل لكل ما شاهده في الأمصار من أحداث وعمران وتجارب، حتى أطلق على أدب الرحلة مصطلح الأدب الجغرافي الذي يرصد الفضاء برؤية توثيقية، بينما اليوميات نمط أدبي – يرتكز على خاصية التدوين بضمير المتكلم- وهنا يلتقي مع أدب الهجرة حين يقوم الكاتب بتدوين كل ما مر به .

3. 4. المذكرات: هي من الأشكال الأدبية الشديدة التداخل بفن السيرة، يلجأ إليها السارد للكشف عن كثير من الأحداث، وهي أنسب للمهاجر الذي تتضاعف الأحداث لديه مما يحتاج إلى تدوينها، وهي ذات بعد توثيقي، ترشح كفن للتعالق مع خطاب الهجرة.

3. 5. التخييل الذاتي والرواية: يجمع عادة بين جنس الرواية وجنس السيرة الذاتية، مع ضرورة العناية بالإحالة الواقعية للوقائع والأحداث، على أن يكون الكاتب والسارد غالبا شخصية واحدة، ، ومثل هذا النمط يصلح لكتابة أدب الهجرة.

3. 6. تسريد التاريخ: كذلك من الخطابات الأخرى التي تتفاعل مع خطاب الهجرة خطاب التاريخي الذي يتداخل مع السيرة ؛حين يسجل الرحالة أو المهاجر تفاصيل حياته السابقة هجراته ورحلاته يقول عباس علي خلف: «اتسمت الرحلة عند العرب بطابع الأمانة العلمية، باعتمادها الرحلة سبيلا في توثيق معلوماتهم.» (شقران، 2015، صفحة 17)

4.خطاب الهجرة موضوعاته وصيغه الأنواعية في رواية" كاماراد رفيق الحيف والضياع" للصديق حاج احمد الزيواني

الهجرة السرية أو الهجرة غير القانونية نوع جديد في الأدب يبنى على ركوب الخطر والمغامرة في المحتوى والشكل، والسير نحو المجهول، كتابته ليست حكرا على أديب جرب الهجرة وعايش عذابات الغربة بحثا عن الذات والأمان، بل هو أدب المستقرين أيضا حيث يشمل كذلك الأدباء في الداخل الذين مارسوا حياة المنفى فنيا فقط، فالزيواني يكتب روايته داخل الوطن بوعي وشعور المنفى المشرد عن وطنه.

و رواية" كاماراد رفيق الحيف والضياع" من الروايات القليلة التي خاضت موضوعا جديدا في السرد الجزائري، بطرحها قضايا راهنة حين تتناول ظاهرة الهجرة السرية عند الأفارقة شارحة معاناتهم بالبحث في سؤال الهوية وتعددها، بين المركز والهامش، بين الأنا والآخر، ارتبطت تيمة الهجرة في الرواية العربية والمغاربية بفكرة اللاشرعية، وتجاوز نص القانون، واستغلال أساليب غير مباحة للانتقال إلى الأرض الأخرى، وهو ما يكثف دلالات الاغتراب، هدفه الكشف عن الظروف القاهرة التي حملت الأفارقة على الهجرة السرية، والتي تسببت في حالة تيه في الصحراء الكبرى، وجدوا بهجرتهم أنفسهم أمام معضلة وجودية حقا (الهوية)، وهي جزء متأصل في أدب الهجرة، يسرف هذا النوع من الروايات في تقديم الآخر، وفي توصيف علاقات التأثر والتأثير، تمر رواية الهجرة عبر ثلاث مراحل: مرحلة الانطلاق والرحيل ثم مرحلة التعايش، ثم مرحلة العودة إن كانت .

شخصيات روايته هامشيون شعبويون، يهربون في مراكب تقطع البحر أو الصحراء.، وفلسفة الحياة التي تروج لها الرواية هي فلسفة اليومي، وهذه من خصائص أدب الهجرة، حيث يغادر المهاجر وطنه هربا من الظروف البائسة والتمييز العنصري، ومن الأوضاع السياسية والأمنية المتدهورة، ويخرج بذلك من النسق الثقافي الخاص إلى النسق الثقافي العام المعولم، تعبر هذه الرواية عن أشجان المهاجرين في أرض المهجر والغربة، لاسيما حين يصطدمون بمشكل تعسر الاندماج في المجتمعات الجديدة لإثراء التجربة الحياتية بتجارب إنسانية

جديدة، والمهاجرون هنا ينتقلون عبر الصحراء من الضفة الجنوبية نحو الضفة الشمالية، فلم تعد العواصم الأوروبية مقصد المهاجرين .

تعد الهجرة تيمة رئيسية في رواية "كاماراد" للزيواني، يعتمد فيها الحس الواقعي على مستوى عرض الأحداث وبناء الشخصيات، الذي كثيرا لا يختلف عن التصوير الفوتوغرافي، مع تعدد في لغاتها التي تدل على تعدد الثقافات والذهنيات والإديولوجيات؛ ولقد حاول الزيواني الاشتغال على هذه التجربة الإنسانية القاسية إبداعيا وجماليا. متناولا مختلف زواياها كتجربة عناوينها الضياع والتمزق والألم، مع ما يمكن أن يستفيده المهاجر في الآن ذاته من تنوع حضاري وثقافي ولغوي وإنساني.، حاول النظر إلى ظاهرة الهجرة كدافع وجودي إنساني يحرك المرء نحو الاكتشاف، وركوب المغامرة إلى فضاءات أخرى، لاسيما إن كانت تدفعه الظروف القاهرة إلى الخروج، وبعد التيه يعود " مامادو "الشخصية الرئيسة في روايته إلى وطنه النيجر إلى بيته، فيكتسب هويته من جديد، ويرمي أثقال الغربة، قدر له أن يلتقي المخرج" جاك بلوز" الذي قص عليه تفاصيل هجرته، التي ومضت معها في ذهنه فكرة فلم سينمائي يسرد أحداث الهجرة.

لم يتطرق الزيواني إلى أسباب الهجرة ودوافعها فحسب، بل كشف عما يسري في باطن هذا المجتمع المهاجر من جميع النواحي.

تضع هذه الرحلة المهاجر الإفريقي في وضع شاق إذ عليه أن ينسلخ من معتقداته الإفريقية ويتلقى هوية جديدة، ليواجه أمرا جديدا وتعدد الهوية بداية القلق الإيديولوجي، يبدو ذلك في الرواية من خلال شخصية "مامادو "النيجيري الذي صار المليباني المسيحي، وقد حتم عليه الأمر اعتناق عقيدة جديدة، وتعليق الصليب في رقبته وإن كان ذلك سطحيا فقط، إذ في أعماقه كان رافضا، فهو مسلم.

تتناول رواية كاماراد طرائق الحياة في إفريقيا بالغوص في الذهنية الإفريقية حين تتناول الهامشي كموضوع للإبداع، فصور رحلة مامادو ومعاناة اللأفارقة في هجراتهم نحو الشمال، التي كانت طريقهم إلى عالم الفساد وكل الآفات والمحرمات، والأمراض المتنقلة.

ولقد صور الزيواني الهجرة السرية القسرية ليست كعارض تاريخي طارئ فرضته الحروب الطاحنة في الدول الضعيفة، سواء من قبل المستعمر أو من قبل الحكام، وإنما كحلقة ضرورية انتهى إليها عالم اليوم في تيهه الإنساني، يبشر بحساسية جديدة تلغي أحادية الانتماء والهوية، التي هي موضوع شديد الصلة بالواقع الثقافي والديني.

ولكن يبدو أن الروائي كان يرفض فكرة الهجرة أساسا ولا يراها حلا لمعضلات الأفارقة، فكثيرا ما يقعون في مشكلات من العصابات ومافيا الطريق، والتهريب، إذ يفتقد الكثير من الأفارقة جزءا من هويتهم بعد تلقيهم لثقافة الغرب، مما يولد شخصية مضطربة التكوين لا تعرف انتماءها الحقيقي، من خلاله يبلغ إلى الناس أن الهجرة ليست حلا بل داء، وأن الخير والشر في الوطن كله.

ولتحليل رؤيته الخاصة وموقفه من هذه الظاهرة الجديدة في الواقع الإنساني أقام دعائم نصه على ما يسمى "خاصية الانفتاح الشكلي" على خطابات وصيغ أنواعية أخرى، والتي تنسجم أساسا مع خطاب الهجرة.

ورواية الهجرة كغيرها من النصوص السردية نص جامع منفتح على غيره من الصيغ الأنواعية التي تسهم في إنتاجيته، يقول سعيد يقطين: «إن انفتاح النص على صعيد البناء يوازيه انفتاح آخر على صعيد بنيات نصية أصبحت جزءا منه، وبذلك فهو يتفاعل معها ويحاورها، ومن خلال هذا التفاعل ينتج دلالة جديدة وموقفا جديدا ».(يقطين، 2001، صفحة 129)

إن الأدب هو حصيلة تراكمات نصية قابعة في عقل ولا وعي الكاتب يستدعيها في اللحظة المناسبة لتسهم في تشكيل بنية نصية ما، وفي هذا السياق يرى حبيب مونسي أن الكاتب «لا ينطلق في كتابته للعمل الروائي من عدم بل هي نتاج سابقين جراء اغترافه للمشترك العام من لغة وفكر وذوق، مشكلا تقاطعا لنصوص لا تعد ولا تحصى»(مونسي، 2002، صفحة 194)

سنحاول في هذه الدراسة التركيز فقط على الأنواع الأدبية التي تتعالق مع نص الهجرة.

4. 1. امتزاج الواقعي بالمتخيل: إن الرواية نص جامع تتعدد فيه اللغات والتيمات والأصوات، وهو مايهيئها للانفتاح أكثر على الفنون الأخرى، لكون ذلك علامة نضج واكتمال لها، يقول ميخائيل باختين: « فإن الرواية تتمكن من أن تلائم بين جميع تيماتها ومجموع عالمها الدال..فخطاب الكاتب وساردية والأجناس التعبيرية

المتخللة وأقوال الشخوص، ما هي إلا الوحدات التأليفية الأساس، التي تتيح للتعدد اللساني الدخول إلى الرواية. وكل واحدة من تلك الوحدات تقبل الأصداء المتعددة للأصوات الاجتماعية .. التي تكون دائما في شكل حواري» (ميخائيل، 1987، صفحة 39)

لا ينبغي أن يكتفي السارد بالتسجيلية التاريخية للأحداث، بل عليه إعادة تخييلها، فيقدم مادة تجمع بين الواقعي والتخييلي، وأدب الهجرة ينفتح على التخييلي بامتياز.

رواية "الزيواني" بسطت الواقع السياسي الذي تعاني منه القارة السمراء ككل، وما ترتب عنه من أوضاع اقتصادية مزرية أثرت على الواقع الاجتماعي، الذي ترتب عنه صراع إيديولوجي وسياسي، فتغيرت المنطلقات الفكرية والإيديولوجية للشباب الصاعد الباحث عن التجديد، لذلك يأتي النص السردي أكثر واقعية لارتباطه بالواقع الحي، ولذلك فإن الكاتب يأخذ مادته السردية من الواقع ثم يعيد تخييلها بأسلوب درامي يقول السارد: «يضيف المبشر: النبأ السعيد هو وجود مخرج سينمائي فرنسي يقيم بالفندق الذي أعمل به جاء ظهر اليوم لنيامي من باريس، أرى شمسك قد أشرقت يا بن بوريما.. كما لا أبعد يا حفيد غندان أن قمرك قد صار بدرا، المفيد من القول بلا تمم.. إنه يرغب في ملاقاة كاماراد يجرب المسالك الوعرة للهجرة، »(الصديق، 2015، صفحة 327)

فنلحظ كيف أنه يتمازج في نص الهجرة رؤية تجسد الواقع كما هو، وأخرى حالمة تهيم في الخيال، فتقتنص اللحظة الواقعية وفي ظل التشكيل اللغوي الخاص تحيلها على الفني والجمالي؛من خلال بنية سردية بكل مقوماتها الفنية، فيتمازج الواقعي بالتخييلي نتيجة تداخل الوعي، وفي مقطع آخر يفصل فيه الشخصية الرئيسة يقول: «اسمه مامادو كله حيوية ونشاط.. عنده حظ عفوي عجيب ووصف رهيب... له في درج حكيه متوالية لطيفة، تتكرر دائما، الغريب أن في معاودة إيقاعها رقة وحلاوة، هي والله مذ لقيته في اليوم الأول، بدت لي استعداداته الفطرية، أنه سيذهب بعيدا، في أمر الإخراج السينمائي، لو وجد الرعاية والدعم اللوجستيكي، أنتج هذا الأخير فيلما وثائقيا عن مظاهر الحرمان لدى الشعوب البائسة، »(الصديق، 2015، صفحة 362)

مثل هذه البنيات السردية تصف ما يختلج في نفس المهاجر الذي غالبا ما يكون له وعي زائف اتجاه البلد المهاجر.

4. 2. التعالق مع السيرة الذاتية: لا يخلو أدب الهجرة من سرد سيرة شخصية ما، ويندرج نص الهجرة هذه ضمن السيرة الذاتية أيضا، وذلك من خلال المذكرات الشخصية التي روت الأحداث التي مرت بها الشخصية الرئيسة في رحلتها نحو الآخر، وإن كانت هي الأخرى فنا يأبى الاكتمال والاستقرار، إذ تظل في حالة تحاور دائمة مع أشكال أخرى قريبة كاليوميات، والمذكرات والرسائل، والحوارات الشخصية، يرى ممدوح فراج النابي: «والرحلة لا تخرج عن كونها تجربة حياتية، عايشها الراوي منذ زمن، ويستعيدها من الذاكرة، ومن اليوميات التي سجلها في أثناء الرحلة»(فراج، 2011، صفحة 234)

فالرّواية السّيرية بمفهومها السّردي لا مانع أن تستّوعب آليات اشتغال الرّواية والسّيرة في نفس الوقت ما دامت تتمتّع بميزة الانفتاح باعتبارها نصّا سرديّا أو حكائيا. (فراج، 2011، صفحة 234)

لكن لا يمكن اعتبار هذه الرواية سيرة ذاتية حقيقية للمؤلف، باعتبار أنه لكي تكون هناك سيرة ذاتية فعلا، يجب أن يقع التطابق التام بين الكاتب صاحب النص والسّارد وإحدى شخصياته، فما يلحظ في هذا النص أن السارد لا يمثل الكاتب بالضرورة.

4. 3. التعالق مع أدب الرسالة: يتعالق أدب الهجرة أيضا مع الخطاب التراسلي، فجاء محملا بمقاصد مكثفة، استهل به خطابه السردي، فزال الإبهام عن الكثير من خفايا السرد، وهي الأخرى أدب يسمه كالسيرة الذاتية وأدب المذكرات سمة البوح والاعتراف للآخر، من خلال تجربة حياتية يرويها، كما قد تدلي الرسائل بأخبار هامة .

يستهل نصه برسالة لمهاجر سري إفريقي غرق في عرض البحر، تركها لأمه وإخوته ووطنه، شارحا فيها أسباب هجرته يقول: «أنا متحسر جدا يا أمي لأن العيلة والحروب الأهلية والأوبئة دبروا أمرهم بليل.. شكلوا حلفا علي حرضوني والله... كان لابد علي أن أقامر كغيري من الرفاق الأفارقة استجداء جنة الخلد... تحت شعار يافطة كتب عليها (من أجل حياة أفضل)، أحلامي كما تعلمين كانت بسيطة.. لا تعدو أن تكون سداد

الديون أو لا، بناء بيت متواضع... عثر على هذه الرسالة في قارورة مشمعة بسداد فليني قبالة شواطئ جزيرة (لامبيدوزا) الإيطالية».(الصديق، 2015، الصفحات 07-08)

4. 4. التعالق مع أدب الرحلة: لقد كان فن الرحلة ولايزال وثيقة تاريخية فضلا عن علاقتها الوطيدة بالأدب، يستدل به على مسيرة حياة شخص رحالة أو أمة أو شعب، يقول: محمدحسن «مهما اختلفت قيمة كتب الرحلة من فترة إلى أخرى.. فإن هذه المصنفات التي كان أصحابها شهود عيان تركت لنا لوحات خالدة وحية عن حالة العمران والمدن.»(محمد ح.، 1993، صفحة 150)

وفي مقطع من الرواية: «انطلقت بنا الحافلة شمالا تتمايل، تراقصت معها سنابل شعر إدريسو ألقينا نظرة السلام الأخير على نيامي.. بعد ابتعادنا من المحطة حوالي خمس كيلومترات.. بعد ساعة ونصف ساعة وصلنا مدينة دوصو... حين غادرنا مدينة دوصو الليل حالك.. أخيرا توقفت الحافلة صعد أحد الحراس يحمل مصباحا تقليديا فضيا... تتبعنا نحن الشباب لا هم له غير ذلك»(محمد ح.، 1993، الصفحات 108-109)

ويقول في مقطع آخر: «بدت لنا مدينة أغادز مع ضوء فجر ذلك الاثنين كمدينة أشباح.. البيوت طينية أحياء القصدير معششة ومفرخة، توغلنا قليلا في المدينة مع زيادة ضوء الصباح، ... ثمة أمر آخر استرعى انتباهنا في هذه المدينة الغريبة هو هذا التواجد النوعي والمتنوع للشباب الكامارادي من مختلف الجنسيات الإفريقية »(محمد ح.، 1993، الصفحات 111-112)

تجارب العودة تتراوح بين نجاح الرحلة وعودة المهاجر متحمسا راغبا في تغيير أوضاع بلده، وبين عودته منكسرا خائب الأمل، يبحث عن اندماج جديد، والقضية الجوهرية التي تطرحها روايات الهجرة هي العلاقة بالآخر، وكيف يمكن الاقتداء به ومحاكاته دون ذوبان فيه أو تبعية مطلقة، فاستطاع بذلك الزيواني أن يصنع عالمه السردي الخاص.

4. 5. تسريد التاريخ في الخطاب الروائي: تعتبر المادة التاريخية من الأنواع التي يقوم عليها خطاب الهجرة، لاسيما حين يدون المهاجر مذكراته، يأخذ منه على قدر حاجته، ويبقى الاختلاف في طريقة التناول بين تقديم المادة التاريخية كما هي أو تخييلها، يشرح ذلك التعالق عبد الله ابراهيم موضحا أن إحلال مصطلح التخيل التاريخي محل مصطلح الرواية التاريخية سيجعل الكتابة السردية التاريخية تتخطي مشكلة الأنواع الأدبية .. ثم إنه يفك ثنائية الرواية والتاريخ، ويعيد دمجهما في هوية سردية جديدة.

ومن أمثلة التوثيق التاريخي التي لجأ إليها الزيواني هذه المقاطع من نصه من خلال الاسترجاع والتذكر: يقول: «دخلنا روما ليكاماراد (أدرار) زوال يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر أكتوبر، نكون قد قطعنا مسافة 118 كلم من مدينة باريس»(الصديق، 2015، صفحة 309)

ويقول في موضع آخر: «في حدود الساعة الخامسة مساء من يوم الاثنين2012/11/12 غادرنا مدينة روما ليكاماراد دون تمايل فاحش كما المعتاد في حافلات طرق جنوبنا البائس.. لنجد أنفسنا ندخل الطريق القطري الجزائري رقم 06 الرابط بين مدينة روما وبشار»(الصديق، 2015، صفحة 331)

يقول أيضا: «مع بداية فجر السبت انتشر خبر اعتقال جورج كالهشيم في حي الشاطو من عاصمة ليكاماراد باريس بسبب ترويج العملة الصعبة المزورة.»(الصديق، 2015، صفحة 263)

4. 6. التعالق مع أدب المذكرات: من خلال هذه البنية السردية يبدو تعالق أدب الهجرة مع أدب المذكرات أكثر من غيره، لأنه أشار إلى أحداث تاريخية شارك فيها أو سمع عنها أو شهدها، فتعتبر تأريخا لأحداث متزامنة لحياة كاتبها، وهي أحداث تهتم بمحيط الكاتب أكثر مما تهتم بحياته الخاصة، وتكون شاهدا على أحداث تاريخية.

اعتمد في تحريرها على الذاكرة أو المشاهدة، هي يوميات كتبت يوما فيوما، فيسجل ما يمر به من أحداث تخصه أو تخص غيره، وتعد المذكرات مصدرا من مصادر التاريخ، وهي شكل أدبي يسمى "أدب المذكرات"، يعد مصدرا توثيقيا للتاريخ حين يقدم معلومات دقيقة، وقراءة خاصة للحوادث، كما تعتبر مصدرا مشوها للتاريخ إن غلبت عليها المبالغة، أوحرفت الحقائق. يروي في الجزء الأول من"المحشر" وقائع مذكراته مثبتة بالتواريخ: «في مساء الحادي والعشرين من شهر جويلية وصلنا محطة المسافرين لشركة **SONEF** بنيامي، الجو بدأ يلطف قليلا مع العشية،»(الصديق، 2015، صفحة 107)، وفي الجزء الثاني يقول: «سهل الله لنا في

صبيحة الجمعة: أن قدمت قافلة أخرى من الرفاق ليكاماراد الناهضين للحياة المقاومين لها رغم إملاقها، »(الصديق، 2015، صفحة 116)

يقول في موضع آخر «بعد أسبوعين من الانتظار القانط المحفوف بكوابيس الاحتمالات السلبية بأمور الجواز، وبمرور الثواني كالساعات والأيام كالشهور، عرفت خلال هذا الأسبوع الهوية الجديدة لرفيقي إدريسو»(الصديق، 2015، صفحة 285)

4. 7. التعالق مع أدب اليوميات: أو التدوين في ظل هذا الأدب يوثق السارد ويخلد ما مر به من أحداث ومواقف، فيسرد بعض الأحداث تبدو أحيانا مهمة، وأحيانا أخرى عادية، ولكن لها أثر في سيرورة السرد، هو تدوين يومي أوسيرة ذاتية يومية، وتدوين الذكريات حياة لها، ولكنها اليوميات ليست مخلصة للذات دوما، ومن ذلك من الرواية «خرجنا مسرعين بدأ الضوء يسرق الظلام، البيوت التي مررنا عليها بالأزقة هي الأخرى تشهد حركة نشيطة للرفاق ليكاماراد، العمل وجمع المال »(الصديق، 2015، صفحة 225)

ومن أمثلة الرواية الكثيرة« ردنا عملنا بالورشة مع رفيقنا كايطا كالعادة، خلال أوبنا من العمل مساء توقفت عند مدخل الحي اشتريت من الطفل الحدث سيجارتين، وجدت جروج ينتظرني عند المدخل»(الصديق، 2015، صفحة 239)

إن هذا الجمع من الزيواني بين أن هذه الأنواع لم تأت عفو الخاطر وإنما عن وعي بطبيعة الإبداع، حيث يحرص على الملاءمة ونبذ التنافر، كما نلحظ أنه بهذا التجميع الخطابي ضمن نص الهجرة يكون قد فقد نقاء النوع الأدبي ؛الذي لم يعد ينضبط بمعايير واحدة ومحددة، مستثمرا جميع الأنواع الأخرى الممكنة، أدب المذكرات بشكل خاص تداخلت فيه عدة أنواع، فالسيرة تغطي حياة الأديب بأكملها بينما المذكرات تتناول جزءا منها ،لذلك رواية" كاماراد" أقرب إلى أدب المذكرات منه إلى السيرة.

وعليه وفي ظل الامكانات الدلالية والشكلية التي صار يكتب وفقها نص الهجرة والرواية عامة، يمكن اعتبارها شكلا من أشكال الثقافة يصلح مجالا للدراسات الثقافية، يقول سمير خليل «لقد جاءت الدراسات الثقافية لتسائل الذات وتجعلها موضوعا قابلا للتحليل، ونقد مسلماتها وكشف تحيزاتها» (خليل سمير و طانية خطاب، 2018، الصفحات 219-220)

ومثل هذه النصوص لايمكن فهمها الفهم الأصح إلا بوضعها في سياق الثقافة، واعتبارها ظاهرة نصية تنصهر فيها علوم وفنون شتى، يقول إدريس الخضراوي «تتحدد الدراسات الثقافية بوصفها ملتقى كثير من العلوم والتخصصات... حيث تركز الاهتمام فيها على دراسة الكثير من الإنتاجات القولية والممارسات الثقافية باعتبارها ظواهر نصية يتعذر فهمها من دون وضعها في سياق الثقافة»(إدريس، 2014، الصفحات 109-110)

و خاصية التداخل في الرحلة إنما اكتسبتها من الطبيعة الجوهرية لفن الرواية التي تبنى أساسا علة التعدد و الحوارية، يقول صلاح فضل : «و فن الرواية في جملته تجريبي في الثقافة العربية على وجه الخصوص، لأنه كان يتداخل مع أنواع السرد التاريخي و الشعبي، الديني والعجائبي»(صلاح، 2005، صفحة 03)

وفق هذه الطريقة الجديدة في التشكيل السردي، صارت الرواية تطمح أن تقول كل شيء، تحمل سمة العصر وتكون شاهدة عليه، صارت عملا غير منته، وسؤالا يدفع إلى التأمل، يرى محمد عزام أن مفهوم الرواية قد تغير وأصبح يشمل طبيعة تفاعلاتها الذاتية ووظيفتها .. وكيفية التعبير عن الواقع .. فلم تعد الرواية وسيلة للتسلية أو المتعة أو التشويق، بل أصبحت ببنائها وتشكيلاتها شاهدة على العصر. (محمد ع.، 1996، صفحة 139).

5.خاتمة

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

- رواية الهجرة موضوعيا تهتم بثقافة الهامش أو اليومي أو النخبة المهمشة في المجتمع، التي صارت تفضل الهجرة السرية نحو المجهول بحثا عن الحريات وعن حياة أفضل.

- من خطاب الرحلة إلى خطاب الهجرة طرأت بعض المتغيرات على الجنس الأدبي، وعن طريق علاقات التأثير والتأثر حصل تحول أجناسي حقق لخطاب الهجرة الديناميكية، والتطور، والأثر الجمالي الممكن .

- يتعالق نص الهجرة الروائي بصيغته السردية التخييلية مع السير ذاتي بصيغته الزمانية و مع الرحلي بصيغته الوصفية المكانية.

رواية الهجرة كغيرها من الأنماط الأخرى تمتلك القدرة على التّعبير عن الواقع والوقائع في شيء من المرونة؛ التي تمكنها من الانفتاح على بقية الأجناس والاستعانة بتقنياتها، غير أن تفاعلها يتضاعف مع أنواع بعينها دون أخرى هي أقرب إلى طبيعتها الموضوعية، ومن تلك الصيغ الأنواعية المتفاعلة نجد: التخييل السردي، والسيرة الذاتية والتاريخ، وإن كان الراوي يتوجه إلى سرد التاريخ أكثر من اتجاهه إلى سرد ما يخص الشخصية، فالسيرة تقتضي الالتزام بالخصوصيات الذاتية للشخصية في تتابعها الزمني، ونص هذه الرواية يسرد غالبا أحداثا عامة، بينما لا يكون مطالبا بذلك في المذكرات، التي تتسم بشيء من الحرية في انتقاء أحداث السرد دون أخرى، مع وجود شيء من التقاطع بينهما .

كذلك ينفتح السرد في رواية الهجرة على أدب اليوميات حين يكون السارد حريصا على تسجيل ما مر به من تجارب، وأحداث اليوميّة، دون أن يعتني فيها بجمالية الأسلوب .

-تعتبر المذكرات من الصيغ الأنواعية الأخرى التي يتعالق معها خطاب الهجرة، بالإشارة إلى جميع الأحداث التّاريخية التي اشترك فيها، أو شهدها، أو وصلته أخبارها .

1. قائمة المراجع: طريقة (APA)

المؤلفات:

1. أحمد, ي .(2002) .*القراءة النسقية ومقولاتها النقدية*.دار الغرب للنشر والتوزيع: وهران، الجزائر.
2. الغدامي عبد الله. (2005). *النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية*. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
3. النابي ممدوح فراج. (2011). *رواية السيرة الذاتية في مصر، دراسة في التأصيل والتشكيل*. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
4. باختين ميخائيل. (1987). *الخطاب الروائي*. (محمد برادة، المترجمون) القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.
5. بروكمبير جينز. (2015). *السرد والهوية دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة*. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
6. حاج أحمد الصديق. (2015). *كامراد -رفيق الحيف والضياع-*. عمان، الأردن: فضاءات للنشر والتوزيع.
7. حسن محمد. (1993). *مساهمة كتب المسالك والرحلة في تأسيس معجم موحد للبلدان المغاربية، سلسلة الندوات، أدب الرحلة في التواصل الحضاري*. مكناس، المغرب: جامعة المولى اسماعيل.
8. خليل سمير و طانية خطاب. (2018). *دراسات ثقافية (الجسد الأنثوي، الآخر - السرد الثقافي)*. بغداد-الشارقة: دار ضفاف للنشر.
9. سعيد إدوارد. (2007). *تأملات حول المنفى*. (ثائر ديب، المترجمون) بيروت: دار الآداب.
10. سعيد يقطين. (2001). *انفتاح النص الروائي النص والسياق*. الدار البضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
11. عزام محمد. (1996). *فضاء النص الروائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان*. مصر: دار الحوار.
12. عزيز, ا. ش .(2008) .*أنماط الرواية العربية الجديدة*.الأردن: سلسلة علام المعرفة.
13. فضل صلاح. (2005). *لذة التجريب الروائي*. القاهرة: أطلس للنشر والانتاج الإعلامي.
14. لحبيب مونسي. (2002). *فعل القراءة النشأة والتحول ،مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد المالك مرتاض*. وهران: دار الغرب.
15. لوجون فيليب. (1994). *السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)*. (عمر حلي، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
16. مافيزولي ميشيل. (2010). *في الحل والترحال عن أشكال التيه المعاصرة*. (عبد الله زارو، المترجمون) المغرب: إفريقيا الشرق.

17.نهلة شقران. (2015). *خطاب أدب الرحلات في القرن الرابع الهجري*. الأردن: الآن ناشرون وموزعون .
18.هارلبيس و هولبورن. (2010). *سوسيولوجيا الثقافة والهوية*. (حاتم حميد محسن، المترجمون) سوريا: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.

المقالات:

19.الخضراوي إدريس. (2014). السرد موضوعا للدراسات الثقافية. *تبين للدراسات الفكرية والثقافية في اللغة والتاري والهوية، 07*.
20.وطفة علي أسعد. (بلا تاريخ). إشكالية الهوية والانتماء في المجتمعات العربية المعاصرة، سلسلة الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر. *مجلة المستقبل العربي، 68*.